مجلة شهرية ثقافية جامعة

ربيع الثانى ١٣٩٧هـ - ابريل ١٩٧٧م

الدوحة

قرطاج

مدينة بنيت على جلد ثور

عبد الحميد جريف

استعادة الشخصيّة القوميّة — د. عون الشريف

من الذى قتل الشاعر الفلسطينى فى نيويورك؟ — رجاء النقاش

الحلقة الثانية من البحث عن الطريق الآخر

رواية إحسان عبد القدوس

عبد الكريم غلاب

الكتاب العربي

أسير عقلية متخلفة

ما تزال اللغة العربية محاصرة في الوطن العربي

المدرسة العربية لا تقدم للتلميذ غير النماذج المحلية

حينما نقول « الكتاب العربي » لا نعني الكتاب المكتوب باللغة العربية فحسب ، ولكن أي جانب اللغة هناك الفكر والقيم والتاريخ والحضارة والتراث ، كلها يحملها كتاب يكتب بلغة ما • الكتاب الفرنسي او الانجليزي مثلا لا يعني لغة ميتة كتب بها كتاب ، ولكنه يعني لغة تحمل نتاجا حضاريا فرنسيا او انجليزيا ، ومقلية وثقافة وتاريخا وقيما ، كلها تنطق من خلال اللغة الفرنسية او الانجليزية • ولو كان الذي كتب بهذه اللغة عربيا او افريقيا او هنديا او امريكيا ، ولو كان موضوع الكتاب مما لا يتصل بالحضارة او التاريخ او الثقافة الفرنسية او الانجليزية •

ازمة الفكر العربي

واللغة العربية حافلة بهذه القيم فما من كلمة فيها تحمل معناها اللغوي ميتا دون ان توحي بتراث العرب ومقليتهم • وما من انتاج ادبي او تاريخي او علمي او فلسفي الا وله ارتباط بهذه السلسلة الطويلة من تاريخ العرب العقل والفني التي امتدت على مدى اربعة عشر قرنا او تزيد ، ومن حضارة العرب وقيمهم وثقافتهم ومفاهيمهم في الحياة •

لذلك فعينما يجتاز الكتاب العربي ازمة كالتي يجتازها منذ دخل عصر الطباعة فهي ازمة الفكر العربي لا ازمة الكتاب فحسب •

الكتاب ليس بضاعة يمكن ان تحسب ازمته على الازمة المالية او الاقتصادية ، او يمكن تعويض كساد سوقه برواج سوق بضاعة اخرى تغني عنه او تفيض ، ولكنه حامل رسالة لا يقع في ازمة الا كانت الرسالة التي يحملها الضحية الاولى في طريق الازمة •

والفكر العربي الذي يحمله الكتاب العربي لا ينطلق من عاصمة موحدة • فمن حسن حظ العرب انهم موزعون ما بين المحيط والخليج • تضم هذه الرقعة الواسعة مجموعة عواصم علمية ، لعبت بعضها ادوارا مهمة في التاريخ الفكري العربي ، من بغداد حتى فاس مرورا بمكة والمدينة ودمشق والقاهرة والقيروان وتلمسان ، ونهضت بعضها في فترات من التاريخ المستمر من النجف حتى حلب وبيروت والخرطوم وتونس وقسنطينة ومراكش والرباط • وحول هذه المراكز ، وغيرها كثير ، يجمع الفكر العربي الذي ينطلق اليوم من الكتاب العربي •

ولكن سوء حظ العرب ايضا ان هذا الانطلاق تحد منه الامية التي تطبق على العقل العربي • العرب ـ ويزيد تعدادهم عن مائة وعشرين مليونا ـ يعيش الملايين على الاقل في الامية المطبقة ، وما تجره الامية من تخلف فكري وعلمي وثقافي واقتصادي • والثلث الذي ارتفعت عنه الامية لم يحظ منه بالتعليم المؤهل للقراءة الا نزر يسير • والاغلبية الساحقة تبتلعها الحياة العامة ، والصراع ضد

الجوع والبؤس مما لا يترك عندهم مجالا للتفكير فى شىء اسمه القراءة .

الحضارة العلمية

لقد قامت الحضارة العلمية فى العالم العربى القديم على المكتبات الخاصة . فرغم ندرة الكتب ـ قبل عهد الطباعة ـ ورغم صعوبة النسخ والكتابة بالخط ، فلم يكن يخلو منزل لعالم او مثقف من مكتبة يقضى فيها نصف عمره قارئا وكاتبا . وليس من الصدفة فى شىء ولا هو من التخلف العلمى كثرة النقول والمصادر فى الكتب التى الفها الاقدمون . فهى حصيلة قراءة مستديمة فى كتب نادرة لا يحصل عليها الكثيرون ، نظرا للمجهود الذى بذله الكاتب فى البحث عنها وقراءتها والتعليق عليها .

واليوم . ووسائل الطبع والنشر والتوزيع والنقل وفرت كثيرا من هذه الجهود المضنية ، يعيش المتعلمون دون مكتبات . وقد يعمد خريج جامعة وحامل لقب علمى كبير الى اقتناء منزل فخم ، ولا يفكر مطلقا فى غرفة للمكتبة . ولعل الكتاب العربى هان على قرائه لسهولة تداوله .

الكتاب العربى .. للعربى

ومن قلة قراء الكتاب العربى تضاءل حجم المطبوع منه . قليل هو الكتاب الذى يطبع اكثر من مرة . وقليل هو الكتاب الذى يتحمل السوق منه اكثر من خمسة الاف نسخة فهل هناك لزمة أوضح من أن ١٢٠ مليون عربى يستهلكون خمسة الاف نسخة من كتاب ما ، اى بمعدل نسخة لكل ٢٤ الف مواطن . هذا مؤشر لظاهرة خطيرة من مظاهر التخلف الفكرى . ودليل واضح على الازمة التى يجتازها الكتاب فى الوطن العربى .

ما من شك فى ان الكتاب العربى يعتمد على العرب دون غيرهم . فهم الذين يقرأون اللغة العربية ويعيشون فى كنف ثقافتها . اللغة العربية لغة محلية او اقليمية . ورغم المكانة الدولية التى وصلتها حينما اعترف لها بانها لغة دولية رسمية فى الامم المتحدة والمنظمات الدولية . فهى ما تزال لغة محاصرة فى الوطن العربى . لا يكاد يعرفها او يدرسها من غير العرب الا القليل . وقد انشأت بعض الجامعات فى اوربا وامريكا معاهد لتدريس اللغة العربية . ولكن رواد هذه المعاهد قليلون والمتعلمون فيها كثيرا ما تستنفرهم المصالح الدولية فى وزارات الخارجية . وقليل منهم يواصلون عملهم فى هذه المعاهد . ولكن مجموعهم لا يمكن ان يكون مجموعة قراء باللغة العربية يمكن ان يعتمد عليه فى قراءة الكتاب العربى .

اللغات الدولية الاخرى اكثرها ـ مثل الفرنسية والانجليزية والاسبانية ـ لا تعيش فى وطنها فقط . محدودة فى افق الخمسين او الستين مليون نسمة . ولكنها منبثة فى الآفاق امتداد الاستعمار والهجرة القديمين ، وامتداد الثقافة الحديثة ، حتى اصبح هناك ما يسمى بالاقطار الناطقة بالانجليزية او الفرنسية او بالاسبانية . الانجليزية مثلا هى اللغة الرسمية للولايات المتحدة الامريكية ولمعظم البلاد الكندية ولشبه القارة الهندية ـ بما فيها باكستان ـ ونيوزيلندة واوستراليا والكثير من مناطق آسيا كسنغفورا وكثير من مناطق شرق افريقيا وجنوبها . وهى مقرونة ـ كلغة ثقافة فى اوربا والشرق العربى .

والفرنسية هى اللغة الرسمية لبلجيكا واللوكسمبورغ وجزء مهم من سويسرا وعدد من دول افريقيا الغربية ، والشرقية ، ومقرونة كلغة ثقافة فى اوربا ـ وبالاخص ايطاليا ـ والمغرب العربى وعدد من مناطق العالم . والاسبانية لغة رسمية لمعظم دول امريكا اللاتينية ومقرونة ـ كلغة ثقافة ـ فى مناطق اخرى من العالم كالفلبين مثلا .

الكتاب الانجليزى او الفرنسى او الاسبانى اذن لا يعيش معاصرا داخل الوطن الاصلى ، ولكنه يصدر لكل بلد حلت فيه لغة الكتاب ، ومع لغة الكتاب العقلية والثقافة والفكر . وفى نفس الاسبوع الذى يصدر الكتاب فى باريس يمكن ان تقراه فى افريقيا او فيتنام . ولذلك فالكتاب لا يكاد يشعر بحصار اقتصادى من جراء الحصار الفكرى . وبالتالى فان المجال ينفسح امامه فلا يكاد يقع فى ازمة . بل قد تكون الازمة عكسية ، فان المطابع ـ ربما ـ لا تستطيع ان تجارى الكتاب . وليس بغريب اذن ان نسمع عن كتاب ان طبعته الاولى نفدت فى الاسبوع الاول . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن كل كتاب يصدر بلغة دولية معترف بها فى الميدان الثقافى .

ولم يعد الكتاب الفرنسى او الانجليزى مثلا هو الكتاب الذى يكتبه فرنسيون او انجليز ، ولكن المثقفين لثقافة فرنسية او انجليزية كلهم يساهمون فى الحركة الفكرية الانجليزية او الفرنسية عن طريق الكتاب . كتبا ، وافريقيا ، وفيتنام ساهمت فى الكتاب الفرنسى بما تخرجه المطابع من حين لآخر لمفكر او كاتب او شاعر ، ومثل ذلك يقال فى الهند او افريقيا الشرقية ـ مثلا ـ بالنسبة للغة الانجليزية . ويكفى ان نذكر سانغور من

العقاد

أســـير عقلية متخلفة

السينغال او محمد ديب او اسيا جبار او حـــداد من الجزائر ، او الشرابيوومعمد خير الدين الطاهر بن جلون من المغرب وغيرهم كثير ، فهؤلاء يسهمون فى نهضة الكتاب الفرنسى لان المطابع الفرنسية لا تلبث ان تصدر لهم دواوين او روايات او دراسات .

الامر بعكس ذلك بالنسبة للكتاب العربى . مجاله الضيق محدود فى الوطن العربى . وهو رغم سـعته وكثرة سكانه نسبيا فان القراء فيه يقلون عن القراء فى مدينة صغيرة بفرنسا او انجلترا او الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتى .

الخطر الاخطر

والخطر الذى يداهم الكتاب العربى ليس قلة القراء فى الوطن العربى فحسب ، ولكن الخطـــر يتمثل فى محاصرة الكتاب قطريا .

ـ زيارة بسيطة للمكتبات فى القاهرة او الاسكندرية مثلا تنبئك بانها لا تكاد تضم الا الكتاب الذى طبع فى مصر ولكاتب مصرى . زيارة بسيطة للمكتبات فى دمشق تنبئك ـ وربما بصورة اقل ـ انها لا تكاد تضم الا الكتاب الذى طبع فى سوريا ولكاتب سـورى . زيارة بسيطة للمكتبات فى بغداد قد تخرج منها بنفس النتيجة. واستثنى المكتبات فى المغرب العربى فان الكتب العربية ـ على اختلاف « جنسياتها » ـ تأخذ مكانها فى الواجهة. وربما قبل الكتاب المغربى باستثناء الكتب التى تقف فى وجه استيرادها بعض العراقيل الجمركية او النقدية.

ـ مقابلة مع مجموعة من المثقفين فى مصر او سوريا او بغداد او الخرطوم مثلا قد تنبئك بانهم لم يقرأوا لكاتب اخر غير الكاتب الذى ينتمون اليهم قطـريا . واستثنى الكتاب المصريين فللكتاب العربى المصرى وجود فى الفكر العربى اينما وجدت اللغة العربية .

ـ حديث مع دور النشر فى العواصم العربيـة ـ باستثناء بيروت ـ تؤكد لك انها قلما نشرت لكاتب غير الذين ينتمون اليها قطريا .

وهكذا تحاصر القطرية الضيقة الكتاب العـربى . وبالتالى الثقافة العربية . ويعيش كل كاتب فى قطره. وفى بعض هذه الاقطار لا يجد الكاتب من القـــراء ما يكفيه للمغامرة بطبع الكتاب . ودار النشر نفسها ـ ان وجدت فى كل قطر دار للنشر ـ لا تجد من الشجاعة ما يجعلها تغامر بطبع كتاب لا تسترد ما انفقت عليه .

هذه الظاهرة الخطيرة على حاضر ومستقبل الثقـافة العربية لها جانب ثقافى وجانب اقتصادى . فلكل من الجانبين اثره الكبير فى تخلف الكتاب العربى .

الجانب الثقافى

أما عن الجانب الثقافى فتتحمل فيه المدرسة والجامعة المسؤولية الكبرى ثم تأتى مسؤولية الصحيفة والمجلـة والدورية .

المدرسة العربية لا تكاد تقدم للتلميذ فى المرحلـة الاولى والثانية الا النماذج القطرية . ومن ثم فهـو يخرج من المدرسة المصرية ـ مثلا ـ وهو يجهل كل شىء عن الادب العربى فى غير مصر . ويدخل الجامعة فتسير الدراسة على نفس المنهاج ، لا يعرف الطالب فى فصول الكلية شيئا عن الحركة الفكرية ـ ولتكن علميـة او فلسفية او ادبية ـ فى غـير مصر ، باستثناء الادب القديم . والامر مثل ذلك فى غير مصر من الاقطـار العربية . وان كنت لاحظت ـ كما لاحظت سابقا ـ ان للادب العربى المكتوب فى مصر وجود فى الكتاب المدرسى العربى فى بقية الاقطار العربية .

ومن ثمة فالقارىء وقد تخرج من المدرسة او الجامعة لا يكاد يلتفت لغير الكتاب والشعراء الذين قرأ نماذج من انتاجهم فى مدرسته او كليته . ومن القراء انفسهم يخرج الدارسون . فهل اتسع الافق امام هؤلاء الدارسين ليتناولوا بالدراسة نماذج من الادب غير الادب الـذى تعرفوا عليه فى المدرسة والجامعة ؟

قليل هم الذين وجدوا فى حصيلتهم العلمية ما يدفع بهم الى اجتياز العدوة ولو لم يكن عليها حارس مرور .

كم كان جديدا ان يفتح المرحوم العميد الدكتور طه حسين الباب فى كلية الآداب ، يوم كان عميدا لها فى بداية الاربعينات ، بدراسة أدب المغرب ، القديم طبعا . وابراز الصلة لهذا الادب بالادب العربى عموما انطلاقا من الادب الاندلسى ؟.

وكم كان جديدا ان يقدم الاستاذ العميد طه حسين محمود المسعدى من تونس ـ قبل ان يعرفه عالم الثقافة ـ من خلال روايته القيمة « السد » ؟.

وكم كان جديدا ان يقدم الاستاذ العقاد هلال الفاسى من خلال كتابه الفذ « النقد الذاتى » ؟.

وكم كان جديدا ان يتعرف قراء العربية على ابى القاسم الشابى الشاعر التونسى الشـاب ـ المجهول انذاك ـ من خلال « ابولو » ورائدها أبى شادى . وان يتعرفوا على الشاعر الحضرمى الكبير على احمد باكثير ، وهو بعد طالب فى قسم اللغة الانجليزية بكليـة الآداب بجامعة القاهرة .

وكم كان جديدا أن يبدأ المرحوم الدكتور محمد مندور دراساته النقدية في الادب الحديث بدراسة الادب العربي في المهجر • وقد تعرف الكثيرون في مصر على قيمة هذا الادب المهموس من خلال فصوله القيمة التي جمعها بعد في كتاب « في الميزان الجديد » •

وكم كان جديدا أن يقدم الاستاذ رجاء النقاش مثلا الطيب صالح ـ وهو من السودان ـ الى قراء العربية في مصر من خلال روايته (الهجرة الى الشمال) ولو أن الكثيرين في مصر يقولون اننا تعرفنا على الطيب صالح بعد أن اهتم بروايته النقاد الانجليز ••• ؟

ليس الادب فقط

وما عدا هذه النماذج القليلة لا تكاد نجد دراسة جدية عن كتاب او رواية او قصة او ديوان في غير وطن الكتاب الا نادرا ، ومن النادر بعض الدراسات التي ظهرت في مجلات العراق مثلا عن الادب المغربي •

والامر ليس أمر الادب فحسب ، ولكنه امر الفكر والثقافة العلمية والفلسفية أيضا • فهناك مفكرون وعلماء وفلاسفة عرب قدموا نظريات قد تكون جديدة او دراسات ساهمت في تقدم العلم والمعرفة • ولكنها تظل حبيسة الجامعة التي القيت فيها او الكتاب الذي نشرت فيه • ولا يكاد العالم العربي يعرف عنها شيئا ، لان المحاضرة أو الكتاب ظلا محاصرين في « القطر » الذي ينتمي اليه صاحب النظرية •

مسؤولية الصحيفة

مسؤولية الصحيفة والمجلة لا تقل عن مسؤولية المدرسة والكلية • وكل قارىء من قراء العربية يسأل نفسه كم من مرة قرأ تحليلا في الصحيفة او الصحف التي يقرأها لكتاب صدر في غير « وطن » الصحيفة ؟ وكم من مرة قرأ دراسة في المجلة التي يقرأها عن كاتب او شاعر من غير « وطن » المجلة ؟

هذا ليس حكما مسمطا ـ كما يقال ـ فهناك مجلات ـ على الاخص فسحت صدرها للحديث عن كتب قيمة صدرت في غير وطنها • مجلات فسحت صدرها لباب اسمه «كتب وصلت للمجلة ••• » يقتصر على ذكر اسم الكتاب واسم صاحبه كاعلان مجاني • وكان كل هذه الكتب التي وصلت للمجلة ليست في مستوى التحليل والنقد والتعريف •

اذكر ان احد محرري الصفحة الادبية في صحيفة فرنسيه اشتكى من الارهاق ، وحاول ان يقدم استقالته من صحيفته لان الكتب التي عليه ان يعللها ويقدمها لقراء الصحيفة يزداد ركامها على مكتبه ، وهو لا يستطيع ان يقوم بواجبه كما يفرضه ضميره • فهل محررو الصفحات الادبية في صحفنا العربية يقعون في مثل ازمة الضمير هذه ؟ هل ضجت مكاتبهم بالكتب الواردة عليهم من كل البلاد العربية والتي عليهم ان يحللوها او يقدموها الى القراء ؟ هل يحتفظون بهذه الكتب حتى في مكتبات الصحيفة كمستند او مرجع او ذكرى ••• ؟

لاشك أن هناك محاولات رائدة في فتح المجال امام الكتاب العرب بداها المرحوم احمد حسن الزيات في « الرسالة » ثم المرحوم أحمد امين في « الثقافة » ونجدها اليوم بالاخص في مجلات العراق وسوريا والكويت وقطر • وقد تكون بابا ينفذ منه الكتاب العرب الى عقول القراء العرب ، لو تطورت المحاولة من المقالة والقصة والقصيدة الى الكتاب والرواية والمجموعة والديوان ••

اما الجانب الاقتصادي فيتجلى في طبع الكتاب العربي وتسويقه وتوزيعه •

وقد كانت مصر تقوم بهذه المهمة في الوطن العربي جميعه الى حدود الحرب العالمية الثانية • معظم الذين كانوا يؤلفون او يصححون التراث كانوا من مصر • والطباعة الفنية المتطورة ـ حسب مفهوم التطور في العالم العربي وفي العشرينات والثلاثينات ـ كانت في مصر • وكان الكتاب العربي الصادر من مصر يغطي معظم البلاد العربية القارئة آنذاك ، على تجاوز في استعمال كلمة « التغطية » أما الكتاب العرب الآخرون في البلاد العربية فكانوا يكتفون بالنشر في بعض المجلات او الصحف المحلية وينشرون احيانا كتبا ودواوين شعر لا تكاد تخرج من قطرهم الضيق

واختلف الامر بعد الحرب • ويمكن أن نقول ان استقلال الاقطار العربية فتح المجال امام ابنائها ليتثقفوا وليخرجوا من العزلة التي كان يفرضها عليهم الاستعمار •

وقد كثر المثقفون والكتاب واخذوا يبحثون عن متنفس لهم لينشروا ابحاثهم وكتبهم على نطاق عربي لان النشر على نطاق محلي لا يمكن الكتاب من سوق مجزية •

وتطور مستوى القراء والكتاب العرب • فمما لاشك فيه ان مستوى الحياة قد ارتفع في البلاد العربية بعد

أسـير عقلية متخلفة

العرب ، رغم الفقر المدقع الذى ما تزال الجماهير العربية تجتر ويلاته .

ودخلت بيروت ميدان النشر والتوزيع . واستفاد الكتاب العربى فى جملته فائدة كبيرة لانها ثابت عن القاهرة التى لم تمكنها الظروف الاقتصادية من الاستمرار فى مسؤولياتها . وفتحت بيروت المجال امام كثير من الكتاب العرب من مختلف الاقطار العربية تقريبا ، وعملت على توزيع الكتاب العربى فى شرق دنيا العرب وغربها . وتطورت الطباعة تطورا لائقا من حيث الشكل، ولو كان هذا التطور على حساب التطور العلمى .

والنتيجة ان الكتاب العربى خرج تقريبا من عزلته. ولكن .

فى « لكن هذه » يكمن داء الكتاب العربى .

الجانب النفعى فى النشر

ذلك ان بيروت تاخذ الموضوع من جانبه الاقتصادى ويستحسن ان نقول من جانبه النفعى . فهى لا تنشر الا للكاتب الذى يكون لكتابه مردود طيب . وقد لا ينال الكاتب من هذا المردود الا الفتات . وهى لا توزع الكتاب الا فى الاقطار التى يكون للتوزيع فيها مردود طيب . ومن ثمة فالناشر فى بيروت يلتقط الاقلام المشهورة فى مصر او سوريا او لبنان ، وقليلا ما يعرج على العراق . اما الخليج والجزيرة والاردن والسودان والمغرب العربى فقليلة هى الكتب التى تسربت من هذه البلاد الى بيروت .

ويعود الامر من جانبه الاقتصادى هذا الى نفس الازمة : الكتاب العربى مختنق فى حدوده القطرية . والكاتب يفكر الف مرة ـ قبل ان يقدم على كتابة كتاب ـ فى الناشر . والناشر المعنى لا يجازف لان السوق المحلية غير مجزية . وحلقات الازمة تستحكم . والكتاب العربى يسير فى اتجاه معاكس مع اتجاه كثرة السكان وانتشار الثقافة وانفتاح العالم العربى سياسيا وحضاريا .

اولى نتائج هذه الوضعية ان بعض الذين يستطيعون ان يهربوا الى لغات اخرى يفعلون ، وربما هذه المرة بوعى مسبق . لقد كان الكثيرون من الذين كتبوا بالانجليزية او بالفرنسية ، وخاصة بالفرنسية ، من كتاب المغرب العربى ، وبالاخص من الجزائر ، كانوا ويلجاون الى الفرنسية مثلا لانهم يستطيعون بها ان يصلوا وبعد استقلال بلادهم شعر بعضهم بلزمة ضمير . ولكن لم تفهم الازمة فى شىء الا ان يقرؤا باهمية اللغة العربية كلغة ثقافة وحضارة . وهذا شىء لم يكونوا يفكرون فيه فى مرحلة الوعى الضائع .

واليوم قد نجد شبابا يستطيعون الكتابة باللغتين ، ويلجاون الى الفرنسية مثلا يستطيعون بها ان يصلوا الى قارىء ما . اما العربية فهم يخشون ان يبنى كتابهم ان هم كتبوا بها ـ فى درج من ادراج المكتب . وهم على كل لا يجدون حماسا لذلك .

ورغم هذا الامتياز الذى حصلت عليه مصر لم يكن يطبع من الكتاب الا بضعة الاف معظمها يوزع خارج مصر حتى تحدث الى مرة الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى قائلا : لولا قراء العراق لما استطاعت الدار التى تطبع كتبى ان تجازف بطبعها . ولهذا كانت مصر تتحمل مسؤولية الكتاب العربى ثقافيا واقتصاديا .

ولناخذ المثال من الواقع : لو سالت مثقفا فى مصر او سوريا او السودان او الجزيرة بخليجها عن عشرة من اشهر المثقفين او الكتاب فى اقطار عربية اخرى ، هل كان يستطيع ؟

الكتاب المعاصر فى قطره اذن لا يمكن ان يعتبر كتابا عربيا لان قراءه قلة من العرب . ولانه لا ينجح اقتصاديا وبالتالى لا يشجع الناشر على ان ينشر . ومن ثمة تذوى حركة النشر . لا استثنى فى ذلك الاقطار العربية التى كان لها مركز ممتاز فى ميدان النشر كمصر مثلا . ولا استثنى المشهورين من مثقفيها وادبائها . فقد لجا بعضهم او لجات كتبهم الى لبنان ، فى الوقت الذى كان للبنان اشعاع فى ميدان النشر والتوزيع .

أسباب الاختناق

وثانية النتائج ـ او هى من اسباب الاختناق ـ القيود المفروضة على الكتاب العربى . دعك من قيود الرقابة على الفكر والقلم . فتلك محنة للفكر العربى التى هى مظهر عميق من مظاهر التخلف . ولا علاج لها بغير اجتثاث اصول التخلف . ولا احتاج ان اطيل فالكتاب لا يمر من مرحلة القراءة الى مرحلة النشر الا بعد محنة . وقد يقف هناك . ولا يجتاز العدود ـ ولو جوا ـ المنصوبة له عند باب كل قطر عربى الا كما يجتاز « الكوكايين » حدود دولة حريصة على صحة بنيها . دعك من هذا فالحديث عنه يثير الشجون ، وخذ الجانب

الاقتصادى من الموضوع : بعض البلاد تمنع تصدير الكتاب الا بعد التأكد من أن بديله من العملة الصعبة سيدخل • وبعضها تمنع تصدير الكتاب لقطر عربى لان الميزان التجارى مع ذلك القطر غير متوازن • وبعضها تمنع استيراد الكتاب من قطر عربى لان ذلك القطر لا يستورد منها بدلا من الكتاب « القول السوداني » مثلا • وبعضها تمنع دخول كتاب طبع فى خارج القطر لكاتب من القطر نفسه • وبعضها تمنع خروج عملة صعبة كحقوق مؤلف من خارج القطر • وبعضها ترفع الضرائب الجمركية على الورق وادوات الطباعة كما لو كانت بضاعة كمالية او تجارة مربحة • وبعض دور التوزيع تمتنع من المعاملة بالمثل مع دور اخرى فى قطر اخر • وبذلك فالكتاب المطبوع فى المغرب مثلا لا يوزع فى تونس لان دار التوزيع التونسية تفضل ان تبيع الكتب المطبوعة فى تونس • اما ان توزع بديلا منها كتبا مطبوعة فى غير تونس فذلك ما لا تستحمله • ودع عنك الجانب السياسى الذى يمنع استيراد كتب من قطر لا ترضى عنه سياسيا حكومة القطر المستورد •

هذه بعض مظاهر الجانب الاقتصادى لمشكلة الكتاب •

••• والحل ؟

فما الحل اذن ؟

للتغلب على المشكل كان التفكير قطريا ايضا •

فى كثير من البلاد العربية انشئت دار قومية للطبع والنشر والتوزيع تحت ارشاد الدولة وبمساعدتها المادية• كان من الممكن ـ مرحليا ـ ان تحل ازمة الكتاب قطريا بهذه الوسيلة • ولكن : لا أحب ان اردد اخطاء البيروقراطية والروتينية التى تحملها الكتاب العربى من جراء هذا الحل • ولكن الذى اعرفه ان كثيرا من الكتب رفض نشرها لاسباب غير ثقافية • وان كثير من الكتب انتظرت سنوات حتى سحبها اصحابها • وان كثيرا من الكتب طبعت وملئت بها مخازن الدار القومية دون ان تتسلم هواء الحرية فلم يعلم بها احد الا مدير الدار والكاتب طبعا •

وكثير من الدور الرسمية هذه تمتنع من نشر كتاب لا ينتمى صاحبه الى القطر الذى توجد فيه الدار •

هذه الوسيلة اذن غير مجدية لانها تكرس قطرية الكتاب العربى وتمنعه من ان يكون عربيا •

ما الحل اذن وقد خاب الامل فى هذا الحل الرسمى ؟•

لا اؤمن بسيطرة جهاز حكومى على النشر والتوزيع • ولكنى اومن بالمبادرة الفردية • فالكتاب يحتاج للمساعدة حقا ، ولكنه لا يقبل التأميم فى بلاد عربية الثقافة واللغة ، تتكون من ثلاث وعشرين دولة • ولكنى مع ذلك اومن بالتنسيق الذين يمكن ان تتدخل فيه منظمة التربية والثقافة والعلوم العربية فتسعى لدى الدول لرفع القيود التى تعرقل سير الكتاب العربى ، وتعاون مع مؤسسات النشر العربية لتكوين اتحاد ـ ولعله كائن ولكنه مشلول ـ لتبادل الكتاب العربى طبعا وتوزيعا بعقلية ثقافية لا بعقلية اقتصادية ، تحت نظام دقيق يمكن الكتاب العربى من كل اسواق الوطن العربى •

واومن بمسؤولية الصحف والمجلات العربية • التعريف بالكتاب والاعلان عنه من اهم وسائل نشر الكتاب • والصحيفة التى تقرأ الكتاب من اسم كاتبه او اسم القطر الذى صدر عنه فتاخذ منه موقف ايجاب او سلب ، صحيفة لا تخدم الكتاب العربى بمقدار ما تسهم فى ازمته •

والقارىء هو نفسه فى حاجة الى ان يتحرر من الاحكام المسبقة • القارىء يجب ان يكون مكتشفا قبل ان يكون خاضعا لتوجيه معين •

والكاتب يجب ان يفرض نفسه • اما ان ينتظر الناشر يطرق بابه فسيظل الى الابد فى انتظار الذى ياتى ولا ياتى •••

وبعد : فالكتاب العربى ما يزال اسير عقلية متخلفة • ويوم يتحرر الفكر العربى من القطرية الضيقة • ويوم يشعر المواطن العربى بان وجوده رهين بالامة العربية ، ويوم ترشد السياسة العربية التى تساهم فى تعميق هذا التخلف فسيصبح الكتاب المكتوب بالعربية كتابا عربيا حقيقة لا كتابا قطريا •

عبد الكريم غلاب

للكتاب العربي المصري وجود في الفكر العربي أينما وجدت اللغة العربية

في بعض الأقطار العربية لا يجد الكاتب ما يكفيه للمغامرة بطبع كتاب !